﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ٥٣﴾ [الزخرف: 51 - 53]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

مبادرةُ فرعونَ إلى إثناء قومِه عن الإيمانِ بموسى

بعد أن ذكرت الآيتان السّابقتان أنَّ اللّهَ تعالى كَشَفَ عَنهُمُ العَذابَ بِدَعْوَةِ موسَى، وأنَّ فرعونَ وقومَه أضمَروا نَكْثَ الوَعْدِ الَّذي وعَدوهُ بأن يَهتَدوا؛ ناسب أن توضِّح هذه الآياتُ خشيةَ فرعون أن يَتَّبِعَ قَوْمُهُ دَعْوَةَ موسَى، ويُؤمِنوا بِرسالَتِه، فَأعلَنَ فيهم التَّذكير بِعَظَمَةِ نَفسِه؛ لِيُثَبِّتَهُم عَلى طاعَتِه، ولِئَلّا يَنقُلَ إلَيهِم ما طلبه مِن موسَى وما حَصَلَ مِن دَعوَتِهِ بِكَشفِ العَذابِ، ولِيَحسَبوا أنَّ ارتِفاعَ العَذابِ أمرٌ اتِّفاقِيٌّ؛ إذ قَوْمُهُ لَم يَطَّلِعوا عَلى ما دارَ بَينَهُ وبَينَ موسَى مِن سُؤالِ كَشفِ العَذاب[1].

وثمَّ وجهٌ آخر من أوجه التَّناسب، وهو أنَّه بعد أن ذكرت الآياتُ السّابقةُ انصياعَ قوم فرعون لِما يأمرهم به، واتِّباعَهم له في كلِّ ما يشير إليه من الوعود بالاهتداء، ثُمَّ نكث هذه العهود، والإصرار على الكفر؛ ناسب أن تذْكر هذه الآياتُ جانبًا جديدًا من جوانب طغيان فرعونَ وفجورِه، واستخفافِه بعقول قومِه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَنَادَىٰ﴾: النِّداءُ: رفْعُ الصَّوت وظُهورُهُ، ويُقال للصَّوت المجرَّد، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 229.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 88.

يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗ﴾ [البقرة: 171]، وللمركَّب الَّذي يُفْهَم منه المعنى، كما في قوله: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: 10]، وقوله: ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: 58]، أي: دَعَوتُم[1]، والمَعنَى: أظهَرَ قولَه، ورفع صوتَه.

2) ﴿مِصۡرَ﴾: المِصْرُ: اسم لكلِّ بلد ممصور، أي: محدود، يقال: مَصَرْتُ مَصْرًا، أي: بنيْتُه، والمِصْرُ الحدُّ، وكان من شروط هجر: اشترى فلان الدّار بِمُصورِها، أي: حدودها، وقوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ [البقرة: 61]، هو البلد المعروف، وصَرَفَه لخفَّته[2]، وقيل: كلُّ ما في القرآن من التَّركيب هو بمعنى: مصر النّيل، عدا هذه الآية، فإن كلمة ﴿مِصۡرٗا﴾ [البقرة: 61] فيها تحتمل أن تكون مصرَ النّيل، وأن تكون أيَّ (مصرٍ) أي: مدينة[3].

3) ﴿مَهِينٌ﴾: (هون) أصلٌ يَدُلُّ عَلى سُكونٍ أو سَكِينَةٍ أو ذُلٍّ، مِن ذَلِكَ الهَون: السَّكِينَةُ والوَقارُ، قالَ سُبْحانَهُ: ﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: 63]، والهونُ: الهَوانُ، قالَ ﷻ: ﴿أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ [النحل: 59][4]، والَّذي في القرآن من التَّركيب بعضُه من الإهانة، كـ: ﴿يُهِينُ﴾ [الحج: 18]، و﴿هُونٍ﴾ [النحل: 59]، و﴿مُّهِينٞ ۝٢٠﴾ [البقرة: 90] و﴿مَهِينٌ﴾ و﴿مُهَانٗا ۝٦٩﴾ [الفرقان: 69]، وسائرُه من (الهَوْن) بمعنى: اللّين واليسر والسُّهولة[5].

4) ﴿يُبِينُ﴾: (بين) أصلٌ واحِدٌ، هوَ بُعْدُ الشَّيءِ وانكِشافُهُ، ومنه: بانَ الشَّيءُ، وأبانَ؛ إذا اتَّضَحَ، وانكَشَفَ، وفُلانٌ أبْيَنُ مِن فُلانٍ، أي: أوْضَحُ كَلامًا مِنهُ، وسُمّي الكلام بيانًا؛ لكشفه عن المعنى المُراد إظهارُه، نحو قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 138]، وسُمِّي ما يُشرح به المُجمَل والمُبهَم من الكلام بيانًا، نحو قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القيامة: 19]، ويُقال: بَيَّنْتُهُ وأبَنْتُهُ؛ إذا جعلت له بيانًا تكشفُه، نحو قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: 44]، و﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝١٠٦﴾ [الصافات: 106]، وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾، معناه: لا يُبَيِّن[6].

---

(1) الراغب، مفردات القرآن: (ندا).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (مصر).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (مصر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هون).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (هون).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بين).

5) ﴿أَسْوِرَةٌ﴾: الإسوارُ والأسوِرَةُ من أساورة الفرس أكثر ما يستعمل في الرُّماة، وقيل: إنَّه فارسيٌّ معرَّب، وإنَّ سِوارَ المرأة معرَّب، وأصله: دستوار، وكيفما كان؛ فقد استعملته العرب، واشتُقَّ منه: سَوَّرْتُ الجارية، وجارية مُسَوَّرَةٌ ومخلخلة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾، وقال: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: 21][1].

6) ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾: (قرن) أصلانِ، أحَدُهما: يَدُلُّ عَلى جَمْعِ شَيءٍ إلَى شَيءٍ، يقال: قارَنْتُ بَينَ الشَّيئَينِ، والقِرانُ: الحَبلُ يُقْرَنُ بِهِ شَيئانِ، والقَرَنُ: الحَبْلُ أيضًا[2]، ومنه: اقترن الشَّيئان، وتقارنا، قال تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾، بمعنى: يَحْمونه، ويقيمون حجَّته[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اجتماعٌ ونداءٌ ومقارنةٌ وتعجيزٌ

تبيِّنُ الآياتُ الكريماتُ أنَّ فرعونَ جمع قومَه في مكانٍ واحدٍ كالسّوق مثلًا، أو جمع أشرافَهم، وهم بلَّغوا عنه، وقد حاول في هذا الاجتماع تأكيدَ تميُّزه وأفضليَّته على نبيِّ الله[4]، قائلًا: يا قومي أليس لي ملكُ مصر، وهذه فروعُ نهر النّيل تجري من تحتي، وتسير بأمري، أفلا تبصرون تلك الحقائق؟ أولا تبصرون أنِّي خيرٌ من هذا الَّذي هو فقيرٌ ضعيفٌ مهينٌ، يمتهن نفسه في قضاء مصالحه، ولا يكاد يبين، أو يفصح عن حجَّته بقوَّة، وذلاقة لسان، وحسن تصرُّف؟ فهلّا أُلقيَ عليه أسورةٌ من ذهبٍ، تجيء له من قِبل ربِّه الَّذي يدَّعي أنَّه ربُّ السَّماوات والأرض، أو تجيء معه الملائكةُ متعاونين مجتمعين؛ ليؤيِّدوه، ويدفعوا عنه[5].

(1) الراغب، مفردات القرآن: (سور).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قرن).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (قرن).
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 381.
(5) حجازي، التفسير الواضح: 3/ 399.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الواو في أوَّل الآية:

جمع فرعون بين نكث العهد والاستكبار عن الحقِّ

الواو في: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ يمكن أن تكون لعطف ما بعدها على جملة: ﴿يَنكُثُونَ﴾؛ استكمالًا لبيان ما فعله فرعونُ بعد أن نقض هو وقومُه الوعودَ الَّتي أعطوها لنبيِّ اللّه بالإيمان والاهتداء، ويمكن أن تكون استئنافيَّةً جيء بها؛ للتَّنبيه إلى ما قام به فرعونُ تحصينًا لقومه من إضلال موسى وسِحره، والحقُّ الَّذي لا شكَّ فيه أنَّه استخفافٌ بعقولِهم وتلاعبٌ بعواطفهم، كما هو شأن الطُّغاة الظّالمين.

دلالةُ التَّعبير بفعل النِّداء:

ارتفاعُ صوت المُنادِي يؤذن بحرصه على وصول كلامه أبعدَ مدى

التَّعبيرُ بفعل النِّداء في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ الموضوعِ لإظهار الصَّوت بالحديث ورفعِه – كما سبق بيانُه – يدلُّ على صدور النِّداء من أعماق فرعون، وحرصه الشَّديد على وصول صوتِه أبعدَ مدى، ما يُؤذن بخوفِه العميق وقلقِه المُتزايدِ مِن أن يتَّبِعَ قومُه موسى، ويؤمنوا به، لا سيَّما إذا نَما إلى علمِهم ما تمَّ الاتِّفاقُ عليه بينهما من إيمان فرعون بموسى؛ لقاءَ رفع العذاب الَّذي أنزله اللّهُ تعالى به وبقومِه.

بلاغةُ إسنادِ فعل النِّداء إلى ﴿فِرْعَوْنُ﴾:

كان فرعونُ حريصًا على وصول كلامِه إلى أتباعِه بكلِّ الطُّرقِ والوسائلِ

إسنادُ فعلِ النِّداءِ إلى ﴿فِرْعَوْنُ﴾ يمكن أن يكون على سبيل الحقيقة، بأن جَمَعَ قومَه في مكان واحد كالسّوق مثلًا، أو جمع أشرافَهم، ونادى فيهم بما يودُّ أن يقولَه، وهم بلَّغوا عنه، فكأنَّه نادى فيهم جميعًا[1]، ويمكن أن يكون الإسنادُ على سبيل المجاز العقليِّ[2]، الدّالِّ على أنَّ فرعونَ لم يقم بالنِّداء بنفسه في ربوع مصر، وإنَّما قام به المختصّون بهذه المهمَّة، وقد أسنده النَّظمُ الكريمُ إليه؛ لأنَّه الآمرُ

(1) حجازي، التفسير الواضح: 3/ 399، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 49.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25: 229، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 49.

به، وللدَّلالةِ على انشغالِه بمضمونه، وحرصِه الشَّديدِ على وصولِه إلى كلِّ أتباعه، بجميع الطُّرق والوسائل المُباشرة وغيرِ المُباشرة.

السِّرُّ في التَّعبير بالاسم الظَّاهر دون الضَّمير:

إبـــرازُ إصـــرارِ فـــرعـــون عـلى الكفر، وبلوغِه في الـفـحـش مبلغًا لم يبلغْه غيرُه

آثر البيانُ إسنادَ فعل النِّداء إلى الاسم الظاهر: ﴿فِرْعَوْنُ﴾ دون الضَّمير، للتَّصريح بفاعل النِّداء تصريحًا يحول دون التباسه بغيره، أو دون صرف الفعل عنه إلى أحد سواه، ولِما في ذكره من الدَّلالة على أنَّه ما زال مُصِرًّا على الكفر، موغِلًا في الكبر، مُتَدَنِّيًا في الأخلاق، بالغًا في التَّدنِّي والفحش مبلغًا لم يبلغْهُ أحدٌ سواه؛ إذ أضاف إلى نكث الوعد الادِّعاء بأنَّه خيرٌ من نبيِّ اللّه، ولم يكتفِ بذلك، بل وصَفَه بأخسِّ الصِّفات وأحطِّ الكلمات، يُزاد على ذلك الدَّلالةُ على أنَّ كلماتِه وتوجيهاتِه لها أثرٌ بارزٌ في قومِه وأتباعه؛ إذ يكفيهم أن يُنادِيَ فرعونُ، أو يَقولَ، أو يُنقلَ عنه أنَّه يقولُ.

دلالةُ تعديةِ فعل النِّداء بحرف الظَّرفيَّة:

وصـــولُ نـــداء فـــرعـــون قـومـه أجمعين

في تعدية فعل النِّداء إلى المعمول ﴿قَوْمِهِۦ﴾ - بحرف الجرِّ المفيد للظَّرفيَّة المجازيَّة ﴿فِى﴾ - نوعٌ من التَّصوير، الَّذي يَبرُزُ من خلاله ﴿فِرْعَوْنُ﴾ متوسِّطًا قومَه، وقد أحاطوا به إحاطةَ الظَّرف بالمظروف، وأخذوا يستمعون إلى ما نادى عليهم من أجله، كما أنَّه يدلُّ على رغبته في تغلغل رسالته وتَمَكُّنِها وانتشارها بين النّاس[1]، ولعلَّه أمَر بذلك ليضمن لها سعةَ الانتشار، والفرقُ واضحٌ بين ما جاء عليه البيانُ وبين قولِنا: (ونادى فرعونُ قومَه)، الَّذي يدلُّ على مجرَّد صدور نداءٍ منه إلى قومه، دون إبرازٍ لمدى حرصِه على تغلغُلِ هذا النِّداءِ وتَمَكُّنِه وانتشارِه.

الغرضُ من التَّعبير بـ ﴿قَوْمِهِۦ﴾ دون غيره:

أوثرَ التَّعبير بـ ﴿قَوْمِهِۦ﴾ دون ملَئِه أو أتباعِه أو غير ذلك؛ لِما يدلُّ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 89.

عليه أصلُ هذه الكلمة من المعاونة والمؤازرة، الَّتي يطمحُ إليها فرعونُ من أتباعه في مواجهة موسى ﷺ، ولِما فيها من إثارة الرَّوابط والعلائق الَّتي تربطُه بهم، وتربطُهم به[1]، والَّتي تجعل كلامَه إليهم محلَّ قبولٍ وأخذٍ وتنفيذٍ، والفرقُ واضحٌ بين ما جاء عليه البيانُ، وبين أن يُقال: (ونادى فرعونُ في النّاس).

الطُّموح في معاونة قومه ومؤازرتهم ضدَّ موسى

سِرُّ فصل: ﴿قَالَ يَقَوْمِ﴾ عمّا قبلها:

جاءت جملة: ﴿قَالَ يَقَوْمِ﴾ مفصولةً عمّا قبلها، لما يُعرف بلاغيًّا بكمال الاتِّصال، الَّذي تنزل فيه الجملةُ الثّانيةُ من الأولى منزلةَ التّابع من المتبوع، فتفصل عنها؛ لما بينهما من ارتباط معنويٍّ شديدٍ يغنيهما عن الرّابط اللَّفظيِّ، ذلك أنَّ جملة: ﴿قَالَ يَقَوْمِ﴾ بمنزلة البيان أو البدل من جملة: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾، ويمكن أن يكون الفصلُ لشبه كمال الاتِّصال، الَّذي تُجيب فيه الجملةُ الثّانيةُ عن سؤال أثارته الجملةُ السّابقةُ في نفس المتلقّي عمّا قاله فرعونُ في ندائه لقومه[2]، فتأتي الجملةُ الثّانيةُ؛ لتُجيب عن السُّؤال، ولتُفصل عن الأولى، كما يُفصل الجوابُ عن السُّؤال.

الفصل إمّا لكمال الاتِّصال أو لشبهه

الغرضُ من النِّداء بحرف البُعد:

آثر فرعونُ نداءَ قومِه بـ (يا) الَّذي يُنادى به البعيدُ؛ لاعتقاده أنَّ عندهم نوعًا من الغفلة وعدمِ الإدراك لِما يحيكُه موسى، ما يجعله خائفًا من تأثيره عليهم، ومن استجابتهم لدعوته والدُّخولِ في دينه، فكان نداؤه بحرف البُعد؛ لما فيه من التَّنبيه إلى بُعدهم عمّا يُنادَون من أجله، ومن أجل لفت أنظارهم إلى ما يأتي بعد النِّداء من معانٍ تحتاجُ إلى التَّنبُّه واليقظة؛ ليتمَّ استقبالُها على الوجه الَّذي يحقِّقُ الغرضَ من النِّداء والقول.

يظنُّ فرعونُ أنَّ قومَه في غفلةٍ وبُعدٍ عمّا يُضمره لهم موسى

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 446.

سِرُّ التَّعبير عن المُنادَى بـ (قَوْمِ) مضافًا:

التَّذكيرُ بما بين فرعون وقومِه من وثيق العلاقةِ المؤسِّسة للنُّصرة والعون

نداءُ فرعون أتباعَه بـ (قَوْم) المضاف إلى ضميره مؤذنٌ بالتَّحنُّن إليهم واستعطافِهم بإعلامِهم أنَّهم لُحمةٌ واحدةٌ، ومستنهضًا همَّتَهم بوصفهم بأنَّهم ذَوو قوَّةٍ على ما يحاولونه[1]، لِما يحمله هذا اللَّفظ من تذكير بما بينه وبينهم من وثيق العلاقة المؤسَّسة للمُناصحة والمُناصرة، وفي هذا من التَّهيئة لهم أن يُقبلوا عليه، ويفتحوا قلوبهم لحسن تلقّي ما يخبرهم به؛ لعلَّ هذه القلوبَ تستجيبُ لما يدعوهم إليه.

الغرضُ من الاستفهام في: ﴿أَلَيْسَ لِي﴾:

تنبيهُ المخاطَبين وتقريرُهم بما يراه متميِّزًا به عن موسى

عبَّر فرعونُ بالاستفهام في قولِه: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾؛ لِما يمتاز به هذا الأسلوبُ من إثارة ذهن المخاطَب وتحريكِ عقله ولفت انتباهه إلى المستفهَم عنه، والاستفهام هنا تقريريٌّ، وغرضُه من التَّعبير به: تقريرُ قومِه بهذه الحقيقة الَّتي يرى نفسَه متميِّزًا بها عن موسى، كما يراها موجِبةً عليهم اتِّباعَه، وعدمَ الاستجابةِ لغريمِه.

نوعُ اللّام في: ﴿لِي﴾، ودلالة تقديمه على المسند إليه:

الاختصاصُ بالمُلك يقتضي عدمَ المُنازَعة والمُقاهَرة

اللّامُ في قولِه: ﴿لِي﴾ حرفُ جرٍّ يفيد التَّمليك، والمعنى: إنَّ ملك مصر لي وحدي، لا ينازعني فيه أحدٌ، وفي تقديم الجارِّ والمجرور على اسم ليس ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾ تخصيصٌ وتأكيد لمعنى كونه مَلِكًا لمصر بلا مُنازع، ومن ثمَّ "فلا اعتراضَ على بني إسرائيل ولا غيرهم؛ لينتجَ له ذلك على زعمه أنَّ غلبته على بني إسرائيل ومقاهرته على إخراجهم من تحت يده بغيٌ على مَن له الملك، فتكون فسادًا، فلا بأس عليه إذا خدع مَنْ فعل به ذلك، بما عاهده عليه عند مسِّ الضُّرِّ"[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمصدر ﴿مُلْكُ﴾ دون غيره:

تعبيرُ فرعون بالمصدر: ﴿مُلْكُ﴾ الموضوع لقوَّة الشَّيء وصحَّته[3]

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 446.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 446.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ملك).

يبعث إلى أتباعه برسالة دالَّةٍ على سيطرته التّامَّة على هذا البلد، وقدرته على تصريف أموره[1]، ما يجعل طاعتَه فريضةً عليهم، واتِّباعَهم له واجبًا لا شكَّ فيه ولا جدال، بخلاف التَّعبير بالمضارع (أَمْلِكُ) الدّالِّ على التَّجدُّد، والموحي بعدم استقرار ملكه لمصر، واحتمال كونه مُلكًا مؤقَّتًا، كما أنَّ التَّعبير بالاسم المشتقِّ (مالِك) ليس في قوَّة التَّعبير بالمصدر ﴿مُلْكُ﴾ الَّذي هو أصل المشتقّات وأقواها في الدَّلالة على الدَّوام.

التَّعبيرُ بالمصدر يدلُّ على السَّيطرة والاستقرار، بخلاف الفعل الموحي بعدم الاستقرار

نكتةُ الإضافة في: ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾:

إضافةُ الـ ﴿مُلْكُ﴾ إلى ﴿مِصْرَ﴾ يبعث برسالة إلى قومه، يؤكِّد فيها أفضليَّته على موسى بامتلاكه هذا البلدَ المعروف، الممتدَّ من الإسكندريَّة إلى أسوان[2]، بغرض استمالتهم إلى اتِّباعه وطاعته، ودعوتهم إلى عصيان نبيِّ الله وعدم الإيمان به، فقولُه: ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾ سببٌ يقدِّمه، وحجَّةٌ يحتجُّ بها؛ لتبرير عدم التزامه بالوعد الَّذي قطعه على نفسه مع موسى، فكأنَّ مَلِكَ مصر من وجهة نظره لا يخضع لسلطان أحدٍ، ولا يجب عليه الالتزامُ بشيء، ولا يصحُّ أن يكون هناك مَن هو أعلى منه، أو مَن يرشدُه، ويوجِّهُه، وهذا ممّا يثير العامَّةَ، ويعجبُهم في الملوك، ويغري بتصديقهم، ويوحي بقوَّة الملوك وهيبتهم.

مُلكُ مصرَ يوجِبُ عدمَ الخضوع لأحد، وعدمَ الالتزام بعهدٍ من وجهة نظر فرعون

نوعُ الواو ودلالتها في: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾:

الواو في جملة: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يمكن أن تكون حاليَّةً، والجملةُ بعدها لبيان الحال الَّتي يعيشُها فرعونُ، ويحظى فيها بالمُلك والنَّعيم، ويمكن أن تكون لعطف ما بعدها على قوله: ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ فرعون يتفاخر بملكه لمصر، وسيطرته على مائها، وتحكُّمه في أنهارها، وهو ما لا يملكه موسى، ولا يقدر عليه.

تفاخر فرعون بملك مصر والتَّحكُّم في نيلها

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 89.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 381.

دلالةُ التَّعبيرِ باسم الإشارة:

استحضارُ صورة الأنهار الجارية يستميل الحاضرين إلى تصديق فرعون

عبَّر فرعونُ باسم الإشارة: (هَذِهِ)؛ للدَّلالة على قُربِ المُشار إليه من المخاطَبين، ورؤيتِهم له في الرّواح وفي العشيِّ، وليستحضر الحاضرون صورةَ الأنهار المقصودة، وهي تجري من تحت قصوره، كأنَّها مشاهدة لعيونهم[1] أثناء إلقائه هذا النِّداء إليهم، فتعمل الصّورةُ عملها في الاستجابة له، والانصراف عن غيره، حتّى ولو كان رسولًا مُؤيَّدًا بالمُعجزات، مدعومًا بالآيات.

نوع (ال) في: ﴿ٱلْأَنْهَرُ﴾ ونكتة جمعه:

كلُّ فرعٍ من فروع النَّيل يصلحُ أن يكون نهرًا مستقلًّا

كلمة ﴿ٱلْأَنْهَرُ﴾ يمكن أن تكون بدلًا من اسم الإشارة، ويمكن أن تكون خبرًا له، و(الـ) فيها لتعريف العهد؛ لأنَّه يقصد نهر النّيل وفروعه، الَّتي لِعِظمِها جعل كلَّ واحدٍ منها مثلَ النَّهر، أو نهرًا مستقلًّا، وجمعها على ﴿ٱلْأَنْهَرُ﴾، وإنَّما هي لنهر واحد هو النّيل، وهذه الأنهار هي: التّفاريع الَّتي تبتدئ قرب القاهرة؛ إذ يتفرَّع النّيل عندها إلى فرعين عظيمين هما: دمياط ورشيد، وله تفاريع أخرى يُسمّى كلُّ واحدٍ منها ترعةً، مثل ترعة الإسماعيليَّة وغيرها، وهنالك تفاريع أخرى تُدْعى الرَّياح[2]، وقيل: الخلجان الَّتي تخرج من النّيل المبارك كنهر الملك، ونهر دمياط، ونهر تنيس، ونهر طوطون كان منها إذ ذاك، لكنَّه اندرس، فجدَّده أحمد بن طولون[3].

دلالةُ التَّعبير بالفعل: ﴿تَجْرِى﴾ مضارعًا:

جريانُ الماء واندفاعُه من أدلَّةِ التَّرف والتَّنعيم

قوله: ﴿تَجْرِى﴾ جملة في محلِّ رفع خبر لاسم الإشارة، ويمكن أن تكون في محلِّ نصب حالًا من ﴿ٱلْأَنْهَرُ﴾، والتَّعبير فيها بفعل الجريان مضارعًا يدلُّ على سرعة اندفاع الماء في هذه الأنهار، وتجدُّد جريانه فيها، واستمرار ذلك من غير توقُّف ولا انقطاع،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 230.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 230.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 381، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 89.

ما يفيد كثرة خيراتها وتعدُّد ثرواتها، وجمال منظرها، وعبَّر بـ ﴿تَجْرِى﴾ دون "تتحرَّك"؛ لأنَّ "أحسن الماء ما كان جاريًا غير قارٍّ؛ إذ يكون بذلك جديدًا؛ كلَّما اغترف منه شارب، أو اغتسل منه مغتسل"[1]، كما أنَّه من لوازم النَّعيم والتَّرف.

نوعُ المجاز وبلاغته في جريان الأنهار:

إسنادُ ﴿تَجْرِى﴾ إلى ضمير ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ مجازٌ عقليٌّ علاقتُه المكانيَّة؛ إذ من المعلوم أنَّ النَّهر لا يجري، إنَّما الجاري ماؤه، وفيه نوع من التَّصوير البارع، الَّذي يرينا سرعة المياه في جريانها، والأمواج في تلاحقها، حتى ليخيَّل إلينا أنَّ الأنهار هي الَّتي تجري، ولو قيل: تجري من تحتها المياه؛ لما كشفت هذه الحقيقة عن امتلاء الأنهار بالماء وسرعة جريانه فيها، ولكان أقصى ما يُستَشفُّ منها مجرَّدُ وصف الماء بالجريان.

كأنَّ الأنهارَ هي الَّتي تجري من سرعة تدفُّق المياه فيها

دلالةُ التَّعبير بالظَّرف مضافًا إلى ضمير المتكلِّم:

قوله: ﴿تَحْتِىٓ﴾ ظرفُ مكانٍ أُضيف إلى ضمير المُتكلِّم العائد إلى فرعون، والتَّعبير به يجوز أن يكون على سبيل الحقيقة؛ إذا كانت الأنهار تجري من تحت قصر فرعون فعلًا، فممّا قيل: كان له سريرٌ عظيمٌ مرتفعٌ تجري من تحته أنهار أخرجها من النّيل، وقال قتادة: كانت له جنانٌ وبساتينُ بين يديه تجري فيها الأنهارُ[2]، ويمكن أن يكون كنايةً عن التَّسخير، كقوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ [التحريم: 10]، أي: كانتا في عصمتهما، ما يعني: أنَّ النّيل مسخَّرٌ له، وأنَّه يأتمر بأمره؛ إذ كانت مياهه لا تجري في الخزّانات والسُّدود إلّا بإذنه، ما يُعدُّ تلويحًا بالعقوبة على مخالفته، وترهيبًا وتحذيرًا من اتِّباع

النّيلُ يجري مِن تحت فرعون حقيقةً أو تسخيرًا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 348.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 381، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 89.

موسى؛ لما يُفهِمُه من أنَّه يهوِّل عليهم، ويهدِّدهم بأنَّه إذا شاء؛ قطع عنهم الماء[1].

فرعونُ متمكِّنٌ من تصاريف النّيل تمكُّن الرّاكبِ من مركوبه

ويجوز أن يكون استعارةً؛ لتمكُّن فرعون من تصاريف النّيل في طول مصر وعرضها؛ إذ شُبِّه تمكُّنُه من التَّحكُّم فيها، بتمكُّن الرّاكب ممّا هو تحته، وقدرته على توجيه مساره والتَّحكُّم فيه، ثم استعار التَّحتيَّة للتَّحكُّم بعد تناسي التَّشبيه، على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التي تُبرز سيطرتَه على سبب حياتهم، وذلك مثل الاستعارة في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مَرْيَم: 24] على تَفْسير ﴿سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: 24] بنهر، وكان مثلُ هذا الكلام يروج على الدَّهماء لسذاجة عقولهم[2].

الغرضُ من الاستفهام في: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾:

التَّقريرُ بمشاهدة قومِه براهينَ عظمته وقدرته، وأدلَّةَ عجزِ موسى وضعفِه

الاستفهام في قوله ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ غرضُه التَّقريرُ على النَّفي تحقيقًا لإقرارهم، كأنَّ المُقرِّر يفرض لهم الإنكارَ، فلا يُنكرون[3]، والمعنى: أفلا تبصرون عظمتي وقدرتي وضعفَ موسى وعجزَه، فتعلموا ببصائر قلوبكم أنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن ينازعني[4].

دلالة التَّعبير بفعل الإبصار مضارعًا مسندًا إلى ضمير الجماعة:

رغبةُ فرعون في حصول الإقرار المُفضي إلى الطّاعةِ من جميع أفراد قومه

عبَّر فرعونُ عن المستَفهَم عنه بالفعل ﴿تُبْصِرُونَ﴾؛ لدلالته على أنَّهم يشاهدون ما يقرِّرهم به بأبصارهم، ويرونه بعيونهم، والمعنى: ألا تشاهدون في الذَّهاب والإياب ما يدلُّ على أنَّني خيرٌ من موسى، وأولى منه بالطّاعة وعدم المنازعة؟ وعبَّر به مضارعًا؛ لأنَّه يريد تقريرهم بما يرونه في الحال، ولو قال: (أما أبصرتم؟)؛ لفُهم أنَّ ذلك كان في الماضي، وليس له وجودٌ في الوقت الَّذي يتحدَّث إليهم فيه، كما عبَّر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 230.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 230.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 230.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 381، والبقاعي، نظم الدرر: 17/ 447.

بفعل الإبصار مسندًا إلى ضمير الجماعة، لرغبته في أن يحصل الإقرارُ المفضي إلى الطّاعة والاتِّباع مِن قومِه جميعًا بلا استثناءٍ.

دلالةُ ﴿أَمْ﴾ في: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾:

يرى فرعون أنَّه يمتاز عن موسى في الصِّفات الشخصيَّة كما امتاز عنه في الملك والقدرة

اختلفوا في معنى ﴿أَمْ﴾، فقيل: هي المنقطعة بمعنى (بل)، والمعنى: بل أنا خير، وعلى هذا فقد تمَّ الكلام عند قوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، ثم ابتدأ، فقال: أم أنا خير، بمعنى: بل أنا خير، وقال الباقون: ﴿أَمْ﴾ هذه متَّصلة؛ لأنَّ المعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون؟ إلّا أنَّه وضع قولَهُ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ موضع ﴿تُبْصِرُونَ﴾، لأنَّهم إذا قالوا له: أنت خير؛ فهُم عنده بصراء، وقال آخرون: تمام الكلام عند قوله: ﴿أَمْ﴾، وقوله: أنا خير ابتداء الكلام، والتَّقدير: أفلا تبصرون، أم تبصرون؟ لكنَّه اكتفى فيه بذكر ﴿أَمْ﴾، كما تقول لغيرك: أتأكل أم؟ أي: أتأكل أم لا تأكل؟ تقتصر على ذكر كلمة ﴿أَمْ﴾؛ إيثارًا للاختصار فكذا هاهنا[1]، وأيًّا كان نوعها؛ فتعبيرُه بها في سياق الاستمالة يثير المخاطَبين إلى عقد مقارنة بينه وبين موسى، تفضي - من وجهة نظره - إلى تفضيله على نبيِّ اللّه؛ لأنَّه يمتاز عنه في الصِّفات الشخصيَّة، كما امتاز عنه في صفات المُلكِ والقدرةِ.

الغرضُ من الاستفهام في: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾:

غـرضُ فـرعـونَ تـصـغـيرُ شـأنِ موسى في نفوس قومِه، وصرفُهم عن اتِّباعِه

سبق القول بأنَّ ﴿أَمْ﴾ يجوز أن تكون منقطعة، للإضراب الانتقالي، والتَّقدير: بل أأنا خير، والاستفهام اللازم تقديره بعدها تقريريٌّ، ومقصوده: تصغير شأن موسى في نفوسهم بأشياء هي عوارض ليست مؤثِّرة، انتقل من تعظيم شأن نفسه إلى إظهار البون بينه وبين موسى، الَّذي جاء يحقر دينه وعبادة قومه إيّاه، فقال: أنا خير من هذا[2].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 637.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 230، و231.

دلالةُ التَّعبير بضمير المتكلِّم:

عادةُ الطُّغاة تعظيمُ أنفسهم وتفخيمُ ذواتهم

عبَّر فرعونُ عن نفسه في جملة الاستفهام بـ: ﴿أَنَا﴾؛ لدلالته - بمعناه ومبناه المختوم بألف المدِّ - على تعظيم شأنه وتفخيم ذاته، وبلوغه في ذلك مبلغًا لم يبلغْهُ غيرُه، والمعنى: "أفهذا الَّذي جاء يسلبنا عبيدَنا بني إسرائيل خيرٌ عندكم منِّي مع ما وصفت لكم من ضخامتي، وما لي من القدرة على إجراء المياه الَّتي بها حياةُ كلِّ شيء"[1]، وهو في قوله هذا أشبه مقولة إبليس من قبله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف: 12].

نكتةُ البيانِ عن نبيِّ الله باسْم الإشارة:

منهجُ الطُّغاة التَّقليلُ من شأن الرُّسل والمصلحين والاستخفافُ بهم

عبَّر فرعون عن نبيِّ اللّه باسم الإشارة في قوله: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا﴾؛ للقصد إلى التَّقليل من شأنه، والتَّهوين من أمره[2]؛ إذ لم يذكرْهُ باسمه (موسى)، ولا صفته (رسول اللّه)؛ لأنَّ ذِكْرَهُ باسمه - في مقام استعطاف قومِه واستمالتِهم، وصرفهم عن طاعة موسى والإيمان به - فيه إعلاءٌ لشأنه، وتفخيمٌ لمنزلته، والتَّعبيرُ عنه بصفته فيه اعترافٌ برسالته.

دلالةُ التَّعبيرِ باسْم الموصول:

الادِّعاء بأنَّ مضمونَ جملة الصِّلة شيءٌ عُرف به موسى بين النّاس واشتُهِر

عبَّر فرعون بالاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِي﴾؛ الَّذي يدلُّ على الإبهام، ولا يزول إبهامه إلّا بجملة صلة الموصول؛ ليتوصَّل من خلاله إلى الادِّعاء بأنَّ مضمونَ جملة الصِّلة شيءٌ عُرف به موسى بين النّاس، واشتُهِر[3].

دلالةُ تقديم المسند إليه على الخبر المشتقِّ:

قدَّم فرعونُ المسند إليه، والَّذي هو ضمير الغائب: ﴿هُوَ﴾ العائد إلى نبيِّ اللّه موسى ﷺ على الخبر المشتقِّ: ﴿مَهِينٞ﴾؛ لتقوية وتأكيد

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 447.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 447، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 231.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 231.

تأكيدُ كونِ موسى شخصًا ضعيفًا ليس في مكانة فرعون ولا في سلطانه

كون موسى شخصًا حقيرًا ضعيفًا، ليس في مكانة فرعون، ولا في سلطانه أو منزلته؛ ليزيد نفورَ قومه من اتِّباعه والإيمانِ به.

وجهُ التَّعبيرِ بـ: ﴿مَهِينٌ﴾ مادَّة وصيغة:

التَّذكيرُ بأنَّ موسى شخصٌ غريبٌ ليس من بيوت الشَّرف في مصر

آثر فرعونُ الإخبارَ عن موسى بقوله: ﴿مَهِينٌ﴾ الدّالِّ على الذُّلِّ والضَّعف، كما سبق بيانُه؛ لتذكير قومه بأنَّ موسى غريبٌ ليس من بيوت الشَّرف في مصر، وليس له أهلٌ يعتزُّ بهم، أو يرتكن إليهم، وأنَّه ضعيفٌ حقيرٌ، يتعاطى أمورَه بنفسه، وليس له مُلكٌ، ولا قوَّةٌ يُجْري بها نهرًا، ولا ينْفِذ بها أمرًا[1]، وآثر التَّعبير عن هذا المعنى بالاسم دون الفعل؛ للدَّلالة على أنَّ ذلك الوصف من الأوصاف الثّابتة اللّازمة، الَّتي لا يمكن أن تنفكَّ عن موسى، أو تتغيَّر في عقول النّاس ومعتقداتهم عنه، "وهذا سفسطةٌ وتشغيبٌ؛ إذ ليس المقامُ مقامَ انتصارٍ حتى يُحَقَّرَ القائمُ فيه بقلَّة النَّصير، ولا مقامَ مباهاةٍ حتى يُنتَقَصَ صاحبُه بضعف الحال"[2].

نوعُ الواو في: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾:

ادِّعاءُ عدمِ جدارة موسى بتلقّي الوحي بعد تحقير شخصه

الواو في جملة: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾؛ لعطف ما بعدها على قولِه: ﴿مَهِينٌ﴾، فبعد أن حقَّر فرعونُ من شخص موسى، أراد أن يبيِّن لقومه عدم جدارته بتلقِّي وحي الله؛ لأنَّه لا يستطيع الإبلاغ عنه؛ بسبب الحُبسة والفهاهة الَّتي كانت في لسانه، والَّتي أحاط بها فرعونُ من خلال معرفته له واختلاطه به عندما كان يعيش معهم في القصر[3].

دلالةُ النَّفي بـ (لا):

ادِّعاءُ عجز موسى عن البيان

آثرَ فرعونُ نفيَ فعل الإبانة بحرف النَّفي المختوم بألف المدِّ (لا)؛ للإشارة إلى بلوغ موسى في العجز عن الإفصاح مبلغًا لا حدودَ له،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 447، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 231.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 231.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 231.

ما يؤكِّد - في زعمه - عدم جدارته بتلقِّي الوحي، وعدم صلاحيَّته للرِّسالة مطلقًا.

دلالةُ التَّعبير بالمضارع في: ﴿يَكَادُ﴾ و﴿يُبِينُ﴾:

عجزُ موسى عن الإبانةِ أمرٌ ملازمٌ له في الحاضرِ والمستقبلِ

عبَّر فرعونُ في الفعلين ﴿يَكَادُ﴾ و ﴿يُبِينُ﴾ بصيغة المضارع بعد النَّفي؛ للإشارة إلى أنَّ العجز عن الإبانةِ والإفصاحِ أمرٌ ملازمٌ لموسى، ويتجدَّدُ حصولُه له في كلِّ مرَّة يحاول فيها الإعراب عن معنًى من المعاني الَّتي يريد إيصالَها، ما يعني أنَّ ذلك يحصل له في الحاضر، وسيحصل له أيضًا في المستقبل، والمعنى: "لا يقرب من أن يعرب عن معنى من المعاني؛ لما في لسانه من الحُبسة، فلا هو قادر في نفسه، ولا له قوَّة بلسانه على تصريف المعاني وتنويع البيان؛ ليستجلبَ القلوب، ويُدْهِشَ الألباب، فيكثر أتباعُه، ويضخم أمرُه[1].

نوعُ الفاءِ ودلالتها في: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ﴾:

التَّصعيدُ في مواجهة موسى بمطالبته الإتيانَ بأدلَّةٍ تثبتُ كونَه رسولًا

الفاء في قوله: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ﴾ للتَّفريع، فإنَّه لَمَّا تضمَّن وصفُ فرعونَ موسى بـ ﴿مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أنَّه مكذِّبٌ له دعواه الرِّسالة عن الله؛ فرَّع عليه قولَه: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ﴾؛ ترقِّيًا في إحالة كونه رسولًا من الله، وكان فرعونُ لجهله أو تجاهله يُخَيِّلُ لقومه أنَّ للرِّسالة شعارًا كشعار الملوك[2].

دلالةُ التَّعبير بـ (لَوْلا):

عادةُ الجبابرة تعجيزُ مَن ينازعُهم ويُظهرُ عجزَهم

(لَوْلا) في قوله: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ﴾ حرفُ تحضيض، عبَّر به فرعونُ بغرض تعجيز نبيِّ الله، بحثِّه على أن تُلقى عليه أسورةٌ من ذهب تدلُّ على أنَّ الله تعالى اختاره للرِّسالة، واصطفاه للقيام لها وبها، "وكان من عادة القوم، إذا جعلوا واحدًا منهم رئيسًا لهم؛ سوَّروه بسوار من ذهب، وطوَّقوه بطوق من ذهب، فطلب فرعونُ من موسى مثل هذه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 448.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 231.

الحالة"[1]، وجواب لولا هنا محذوف، ويمكن أن يكون تقديره: لآمنّا بدعوته، أو لصدَّقناه.

دلالةُ التَّعبير بفعل الإلقاء مبنيًّا لِما لم يُسَمَّ فاعله:

اهتمامُ فرعون مُنْصَبٌّ على حصول الإلقاء بغضِّ النَّظر عن فاعله

الإلقاء: الرَّميُ، استُعمل هنا في: الإنزال، والمعنى: هلّا أُنزل عليه من السَّماء أساورة من ذهب، أي: سوَّرهُ الرَّبُّ بها؛ ليجعله مَلِكًا على الأمَّة[2]، وعبَّر به جريًا على ما اعتاده النّاسُ من أنَّ الكراماتِ والحُبى والخُلَعَ تُلقى على المُكَرَّم بها إلقاءً، وجيء به مبنيًّا لِما لم يُسمَّ فاعلُه؛ لكون فاعل الإلقاء معلومًا، وهو ربُّه الَّذي أرسله، أو لأنَّ اهتمامَهم منصبٌّ على حصول الإلقاء من أيِّ ملقٍ كان[3].

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ جمعًا نكرةً:

كـلَّـمـا كـانـت الأسـاورُ كثيرةً كانت دليلًا قويًّا على الاصطفاء للرِّسالة

﴿أَسْوِرَةٌ﴾ جمع سِوار، والسِّوار: حلْقَةٌ عريضةٌ من ذهب أو فضَّة تحيط بالرُّسغ، وكان السِّوار من شعار الملوك بفارس ومصر، يلبس الملكُ سوارين، وكان من شعار الفراعنة لبسُ سوارين أو أسورة من ذهب، وربَّما جعلوا سوارين على الرُّسغين وآخرين على العَضُدين، فلمّا تخيَّل فرعونُ أنَّ رتبةَ الرِّسالة مثلُ المُلْك؛ حسب افتقادَ ما هو من شعار الملوك عندهم أمارةً على انتفاء الرِّسالة[4]، وعبَّر به نكرة جمعًا؛ لما يفيده التَّنكير والجمع من التَّكثير الدّالِّ على التَّكريم والاصطفاءِ.

دلالةُ قيد الـ ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ بالجارِّ والمجرور:

التَّعريضُ بفقر موسى وعجزه وعدم صلاحيَّته للرِّسالة

قولُه: ﴿مِّن ذَهَبٍ﴾ جارٌّ ومجرورٌ في محل رفع صفة لـ ﴿أَسْوِرَةٌ﴾، و﴿مِّن﴾ فيه هي البيانيَّة الموضِّحةُ نوعَ الأسورة المطلوب إلقاؤها على نبيِّ الله موسى، وأنَّ الواجب فيها أن تكون من الذَّهب لا من شيء آخر، ونَصَّ فرعون على أن تكون من الذَّهب؛ "ليكون ذلك أمارةً

(1) الرازي، فتوح الغيب: 27/ 637.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 231.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 449.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 232.

على صِدق صحَّة دعواه، كما يفعل هو عند إنعامه على أحد من عبيده بالإرسال إلى ناحية من النَّواحي لمهمَّة من المهمّات"[1]، وفيه تعريضٌ بفقر موسى وعجزه وعدم صلاحيَّته للرِّسالة بسبب ذلك، وحاصل الكلام "أنَّ فرعون كان يقول: أنا أكثر مالًا وجاهًا، فوجب أن أكون أفضلَ منه، فيمتنع كونه رسولًا من الله؛ لأنَّ منصبَ النُّبوَّة يقتضي المخدوميَّة، والأخسُّ لا يكون مخدومًا للأشرف"[2].

معنى ﴿أَوْ﴾ ودلالتها:

طغيانُ فرعون في التَّكذيب والتَّعجيز

﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ﴾ حرفُ عطفٍ يفيد التَّرديد، والمعنى: إن لم تُلقَ عليه أساورةٌ من ذهبٍ؛ فلتجئ معه طوائفُ من الملائكة شاهدين له بالرِّسالة[3]، وهذا مبالغة في إنكار رسالة موسى عليه السلام، ومحاولةٌ لتعجيزه وتكذيبه في ما جاء به.

دلالةُ التَّعبير بفعل المجيء مادَّة وصيغة:

مجيءُ الملائكةِ مع موسى أمرٌ له خطرُه وأهمّيَّتُه في إثبات كونه رسولًا

عبَّر فرعونُ في قوله: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ﴾ بفعل المجيء الموضوع للإتيان بصعوبة[4]؛ للدَّلالة على أنَّه مجيءٌ له خطرُه وأهمّيَّتُه، نظرًا لما يترتَّب عليه من إقامة الدَّليل على كون موسى نبيًّا مُرْسَلًا من عند الله جلَّ في علاه، وعبَّر به ماضيًا مع أنَّه لن يكون إلّا في المستقبل؛ للإشارة إلى أنَّه مطلبٌ أكيدٌ لا تراجع عنه، ولا بديل له، وأنَّهم لن يؤمنوا بصدق موسى في دعواه الرِّسالة إلّا بعد مجيء الملائكة معه مجيئًا حقيقيًّا لا شكَّ فيه ولا ارتياب.

نكتة تقييد فعل المجيء بـ: ﴿مَعَهُ﴾:

القصدُ إلى مصاحبة الملائكة لموسى، ومشاهدتهم له بالبصر

قَيَّد فرعونُ مجيء الملائكة بكونه مع موسى في قوله: ﴿مَعَهُ﴾؛ للمطالبة بمصاحبتهم له ومشاهدتهم معه عندما يأتي إليهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 449.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 637.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 232.
(4) الراغب، مفردات القرآن: (جاء).

بهذا النَّبأ الجسيم والأمر العظيم[1]، ففي التَّقييد به قصدٌ لمعنى المشاهدة، الَّذي يريدونه من وراء طلبهم مجيء الملائكة، فهُم لا يريدون أن يكون مجيئُهم مستترًا، بحيث لا يراه، ولا يسمعه إلّا موسى وحده، بل يريدون رؤيتهم بالعين؛ لتكون تلك الرؤيةُ دليلًا محسوسًا على أنَّه رسولٌ.

سرُّ التَّعبير بـ ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ جمعًا:

جيء بفاعل المجيء ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ جمعًا لقصد التَّكثير، المُفضي إلى التَّصديق وعدم الشَّكِّ أو الرَّيب في كون موسى رسولًا، بمعنى: أنَّه كلَّما كان عدد الملائكة كثيرًا؛ كان الدَّليل أقوى، وأدعى إلى التَّصديق.

كلَّما كان عددُ الملائكة كثيرًا؛ كان الدَّليل على صِدق موسى أقوى وأدعى للتَّصديق

موقع ﴿مُقۡتَرِنِينَ﴾ الإعرابي ودلالته:

قوله ﴿مُقۡتَرِنِينَ﴾ حال من الملائكة، ومعناه: إمّا مقترنين به، من قولك: قرنْتُه، فاقترن به، وإمّا من: اقترنوا، أي: تقارنوا، بمعنى: يمشون معه، فيدلّون على صحَّة نبوَّته[2]، لَمّا وصف فرعونُ نفسه بالمُلك والعزَّة، ووازن بينه وبين موسى، فوصفه بالضَّعف وقلَّة الأعضاد؛ اعترض، فقال: هلّا إن كان صادقًا؛ ملَّكَهُ ربُّه، وسوَّده، وسوَّره، وجعل الملائكةَ أعضادَه وأنصارَه[3]، والتَّعبير به تقويةٌ وتأكيدٌ لمعنى مصاحبة الملائكة الَّتي يطلبها فرعون؛ دليلًا على أنَّ موسى رسولٌ؛ لئلّا يُحمل معنى المعيَّة على إرادة أنَّ الملائكة تؤيِّده بالقول فقط، دون المصاحبة والرُّؤية بالعين[4].

تأكيدُ مصاحبةِ الملائكة لموسى، وتقويةُ رؤيتهم معه

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

البصَر والنَّظر:

البَصَر: اسم للرُّؤية، ويُسمَّى العلمُ بالشَّيء - إذا كانَ جليًّا -

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 449.
(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 415.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 258.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 233.

بصرًا، يُقال: لَك فِيهِ بصر، يُراد: أنَّك تعلمُه، كَما يراهُ غَيْرك، ويُقال لقوَّة القلب المدركة: بَصِيرَة وبَصَر[1]، والنَّظَر: طلب مَعرفَة الشَّيء من جِهَته ومن جِهَة غَيره، وحَدُّه: طلب إدراك الشَّيء من جِهَة البَصَر أو الفِكر، ويحتاج في إدراك المَعنى إلى الأمرين جَمِيعًا، وأصل النَّظر المُقابلَة، فالنَّظر بالبصر: الإقبالُ به نَحْو المبصَر، والنَّظَر بالقلب: الإقبال بالفكر[2].

أدلَّةٌ تميِّز فرعون عن موسى لا تحتاجُ إلى إعمالِ فكرٍ من وجهة نظر فرعون

ولمّا كان فرعونُ يريد أن يثبت لقومِه بالدَّليل أنَّه أفضلُ من موسى، وأولى منه بالطّاعة والاتِّباع؛ ناسب أن يعبِّر في قوله لهم بكلمة: ﴿تُبْصِرُونَ﴾ الدّالَّة على أنَّ البراهين الَّتي ساقها لهم واضحةٌ جدًّا، تبصرها عيونُهم بجلاء، ولا يحتاجون معها إلى إعمال فِكْر؛ لأنَّها تنطق بأفضليَّته على موسى.

الأسورة والحُلِيّ:

الأسورَةُ من أساورة الفرس أكثر ما يُستعمل في الرُّماة، وقيل: هو فارسيٌّ معرَّب، وأصله أسوار، والأسوار من الفرسان غلب في الرّامي منهم[3]، والحُلِيُّ جمع حَلْي، وهو: ما يُزيَّن به من مصوغ المعدنيّات والحجارة الكريمة[4]، ولمّا كان فرعون يعتقد أنَّ رتبةَ النُّبوَّة تناظر رتبة المُلك؛ طالب نبيُّ الله موسى أن يُلقيَ عليه ربُّه أسورة، أو يُلبسَه أسورةً من الذَّهب؛ لتكون دليلًا على أنَّه أرسله إليهم؛ جريًا على عادة النّاس بصفة عامَّة والملوك بصفة خاصَّة؛ إذا أوفدوا أحد أتباعهم برسالة، ولم يُعَبِّر بالحُلِيِّ لاستواء العامَّة مع الخاصَّة في استعمالها، ولأنَّها ليست علامةً معترفًا بها على الإرسال، ولم يجرِ العرفُ باستعمالِها فيه.

الأسورة علامةٌ متعارفٌ عليها في الإرسال، أما الحُلِيُّ؛ فيستعملها العامَّةُ والخاصَّة

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 82، والراغب، مفردات القرآن: (بصر).
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 74.
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 2/ 233.
(4) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (الحلي).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"